المحور السابع: الفكر الاقتصادي الليبرالي (الرأسمالي) ومراحله

الفكر الاقتصادي الليبرالي (الرأسمالي) هو مذهب اقتصادي يقوم على **الحرية الفردية في النشاط الاقتصادي**، وملكية وسائل الإنتاج بشكل خاص، وتقليل تدخل الدولة في السوق. نشأ هذا الفكر في أوروبا وارتبط بتطور النظام الرأسمالي عبر عدة مراحل تاريخية.

وقد ارتبط الفكر الاقتصادي الرأسمالي بمصطلح الليبيرالية، فما هو المقصود بمصطلح الليبيرالية؟ وما هي أهم مبادئها؟ وفيما ***يتمثل الفكر الاقتصادي الرأسمالي؟***

أولا: مفهوم الليبرالية:

الليبرالية هي مذهب فكري وسياسي واقتصادي يقوم على **تقديس حرية الفرد**، ويؤكد أن لكل إنسان الحق في التفكير والتعبير والعمل والتملك دون تدخل مفرط من الدولة، ويُعد من أهم التيارات التي شكلت العالم الحديث.

وبعبارة أخرى:

الليبرالية تعني إعطاء الفرد أكبر قدر ممكن من الحرية في التفكير والتعبير والعمل، مع تقليل تدخل الدولة في حياة الناس، ما دام ذلك لا يضر بالآخرين.

ثانيا: أهم مبادئ الليبرالية

1- **الحرية الفردية:** تركز على حرية الإنسان في اختيار أسلوب حياته، آرائه، ومعتقداته دون إكراه.
2- **حقوق الإنسان:** تدافع عن حقوق أساسية مثل حرية التعبير، حرية الدين، وحق التملك.
3- **سيادة القانون:** جميع الأفراد متساوون أمام القانون، ولا أحد فوقه.
4- **الديمقراطية:** ترتبط الليبرالية غالبًا بالنظام الديمقراطي، حيث يختار الشعب حكامه.
5- **الاقتصاد الحر:** تدعم نظام السوق الحرة القائم على المنافسة، وهو قريب من الرأسمالية.
6- **تقليل تدخل الدولة:** ترى أن دور الدولة يجب أن يكون محدودًا (حماية الأمن، تطبيق القانون)، مع ترك النشاط الاقتصادي للأفراد.

ثالثا: تعريف الفكر الاقتصادي الرأسمالي:

الفكر الاقتصادي الرأسمالي هو مذهب اقتصادي يقوم على **الملكية الخاصة وحرية السوق**، ويهدف إلى تحقيق الربح من خلال النشاط الاقتصادي الحر.

أي أن الفكر **الاقتصادي الرأسمالي هو عبارة عن نظام** اقتصادي يعتمد على:

امتلاك الأفراد والشركات لوسائل الإنتاج، وترك السوق يحدد الأسعار والإنتاج دون تدخل كبير من الدولة.

رابعا: الأسس الفلسفية للفكر الاقتصادي الرأسمالي:

الأسس الفلسفية للفكر الاقتصادي الليبرالي تقوم على مجموعة من المبادئ التي ترتكز على:
الحرية الفردية، الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، السعي لتحقيق الربح، المنافسة الحرة، حرية السوق، الدور المحدود للدولة.

1- **الحرية الفردية:**
- **الإنسان حر في اختياراته الاقتصادية (العمل، الاستثمار، الاستهلاك...)**
- **لا تتدخل الدولة إلا لحماية الحقوق الأساسية**
- **مصدر الفكرة: جون لوك**

2- **الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج:**
- **لكل فرد الحق في امتلاك المال ووسائل الإنتاج**
- **الملكية الخاصة تشجع المبادرة الفردية والاستثمار**

3- **مبدأ السعي لتحقيق الربح:**
وهذا باعتبار الربح هو الهدف الأساسي للنشاط الاقتصادي حيث أن الأفراد يسعون لتحقيق مصلحتهم الشخصية وهذا السعي يساهم في تحسين رفاهية المجتمع دون تخطيط مركزي.

4- **المنافسة الحرة:**
السوق يعتمد على التنافس بين الأفراد والشركات، وفي إطار هذا التنافس نجد أن السوق يحقق توازنه تلقائيا في إطار ما عبر عنه آدم سميث بفكرة "اليد الخفية"

5- **حرية السوق:**
- **حيث أنه في إطار السوق الحر فإن العرض والطلب هما من يحدد الأسعار، وبالتالي فالسوق الحر قادر على تنظيم نفسه تلقائيًا عبر العرض والطلب.**
- **التوازن الاقتصادي يتحقق بدون تخطيط مركزي**

6- **الدور المحدود للدولة:**
- **شعار الفكر الرأسمالي: "دعه يعمل، دعه يمر"**
  أي أن دور الدولة مقتصر على:
  - **حماية الملكية**
  - **فرض القانون والنظام**

- **منع الاحتكار الصريح**

خامسا: أهداف النظام الاقتصادي الرأسمالي:

1- زيادة الإنتاج والثروة
2- تحقيق النمو الاقتصادي
3- تشجيع الابتكار والاستثمار
4- تحقيق الكفاءة الاقتصادية

سادسا: مزايا النظام الاقتصادي الرأسمالي:

1- يشجع المبادرة الفردية
2- يرفع مستوى الإنتاج
3- يؤدي إلى تطور اقتصادي سريع
4- يوفر تنوعًا في السلع والخدمات

سابعا: عيوب النظام الاقتصادي الرأسمالي:

1- يسبب **فوارق اجتماعية** أي يساهم إحداث هوة كبيرة بين مختلف الطبقات الاجتماعية في الدولة
2- احتمال **الاحتكار**
3- استغلال العمال في بعض الحالات
4- حدوث أزمات اقتصادية دورية

ثامنا : مراحل تطور النظام الاقتصادي الرأسمالي:

تطورت الرأسمالية عبر ثلاث مراحل كبرى، هي: الرأسمالية التجارية والرأسمالية الصناعية والرأسمالية المالية.

أولا: الرأسمالية التجارية:

سادت خلال الفترة الممتدة بين القرنين 15-17 أي أنها ارتبطت بظهور المدرسة التجارية حيث:

- ظهرت مع توسع التجارة بين أوروبا وآسيا وإفريقيا والأميركتين.
- ركزت على **التجارة البحرية والمستعمرات** وجمع الثروات من خلال التبادل التجاري.

وقد ارتبط ظهور الرأسمالية التجارية بحركة الاكتشافات الجغرافية في القرن السادس عشر، التي فتحت طرقا تجارية جديدة أمام التجار الأوروبيين وفرصا لتحقيق الأرباح من خلال استقدام السلع المتنوعة ومراكمة الثروات.

كما أسهمت أفكار عصر الأنوار (عصر التنوير) التي تمجد الثروة بدلا من إدانتها كما كان عليه الأمر في القرون الوسطى، في تحفيز الناس على التجارة وجمع المال.

وتضمنت هذه المرحلة العديد من المبادئ والسمات التي ارتبطت بها واستندت عليها ومنها:

- الحصول على المعادن الثمينة من الذهب والفضة باعتبارها تمثل اساس ثروة الدولة وقوتها، فثروة الدولة في المرحلة التجارية للنظام الرأسمالي تعتمد بالدرجة الاساس على ما تملكه الدولة من الذهب والفضة، وقد استخدمت الدولة الرأسمالية الناشئة هذه الثروة لإنفاقها لأغراض الإدارة والأمن وتأمين متطلبات الدفاع عن الدولة من أي عدوان خارجي، وتأمين مصالحها في الجوانب كافة.
- إن زيادة الذهب والفضة في الدولة ادى الى زيادة التبادلات التجارية وتنشيط المعاملات وتوسيع نشاطات لأغراض التبادل في الاسواق من اجل الحصول على الذهب والفضة.
- لقد ادى زيادة عرض النقد من الذهب والفضة الى ارتفاع الاسعار الامر الذي تترتب عليه زيادة الأرباح، والذي أصبح حافزاً نحو التوسع في النشاطات الاقتصادية، وخاصة التوسع في النشاطات الصناعية.

ثانيا: الرأسمالية الصناعية:

الرأسمالية الصناعية سادت خلال الفترة من (القرن 18 إلى القرن 19) أي أن هذه المرحلة ارتبط ظهورها مع ظهور المدرسة الكلاسيكية في القرن الثامن عشر و هو ما أدى إلى ظهور الثورة الصناعية التي بدأت في إنجلترا، حيث اكتشفت تقنيات جديدة للإنتاج (كالمحرك البخاري وآلة الغزل) وانتشرت هذه التقنيات في بقية أرجاء أوروبا.

وأدى ظهور المصانع في أوروبا إلى بروز طبقة جديدة في المجتمع هي البورجوازية، وقد لعبت دورا هاما في تطوير الإنتاج الصناعي والترويج للأفكار الرأسمالية من طرف نخبة من رواد الفكر الاقتصادي الكلاسيكي.

من أهم سماتها:

- نمو المدن الصناعية.
- فصل العمل عن الملكية.
- ظهور طبقة البرجوازية الصناعية (أصحاب المصانع).
- انتشار العمالة المأجورة.

المرحلة الثالثة: الرأسمالية المالية:

دخلت الرأسمالية مرحلتها الثالثة مع نهاية القرن التاسع عشر، وتوصف هذه المرحلة بأنها مرحلة الرأسمالية المالية. وقد عرفت هذه المرحلة ظهور المؤسسات المصرفية العالمية الكبرى والشركات القابضة وانتعشت أسواق الأوراق المالية، ووقعت الشركات الصناعية تحت هيمنة القطاع المصرفي.

لكن هذه المرحلة كانت أيضا مرادفا للأزمات المالية المتعاقبة نتيجة لتضخم نشاط المضاربات المالية والسياسات النقدية التوسعية.

- تميزت هذه المرحلة بـــ:

- انتقال القوة الاقتصادية من الإنتاج الصناعي إلى **التمويل والبنوك والشركات الكبرى**.
- ظهور **الشركات الاحتكارية** والتكتلات الاقتصادية.
- تأثير كبير على الاقتصاد العالمي من خلال الاستثمارات العالمية والبورصات.
- انتشار الشركات المتعددة الجنسيات.
- حدوث تطور تكنولوجي رهيب (إنترنت، اتصالات، تكنولوجيا معلومات).
- حدوث حركية في رؤوس الأموال والبضائع بشكل سريع بين الدول.